٥ — كلية الزراعة

محمد توفيق الخشاب بك

عميد كلية الزراعة

— ١ —

كلية الزراعة معهد علمي بدأ صغيراً وسائر قوانين النمو على مرور الزمن فتناولتهُ يد الاصلاح والتعمير والتوسع وشملتهُ روح التجديد ولا يزال هذا المعهد متابعاً نموه ولما يبلغ الغرض الذي تتوخاهُ لهُ بعد

ذلك ان أي معهد علمي يبدأ حياته متواضعاً إثر فكرة طارئة أو إحساس عميق بضرورته . فان كان وليد الفكرة الطارئة أو البحث السطحي يغلب فيه أن يولد ميتاً . اما ان كان إنشاؤه نتيجة شعور صحيح بأن وجوده لا بدَّ منهُ ليسدَّ نقصاً في احدى نواحي النشاط العام للبلاد فانهُ لا يلبث أن يسرّخ وجوده وأن يقوم كالبنيان الراسخ فوق أساس ثابت الدعائم وأن تدب فيه روح الحياة فيكبر بتوالي الأيام ويزيد الاقبال عليه والانتهال من موارده

وقد كان هذا شأن معهدنا إذ بدأ كمدرسة زراعية أنشأها المغفور لهُ محمد علي باشا وجلب لها الاخصائيين من الأجانب بقصد إدخال الأساليب الحديثة في الزراعة فواجهت هذه المدرسة حملات قوية من دعاة الرجعية وقد إختفت من الوجود مدَّة وأخيراً غالبت هذه الحملات واستقرَّت بالجيزة متواضعة يقصدها كثيرون من الاجانب لدراسة الزراعة المصرية . على ان هذه المدرسة لم تلبث ان سوّغت وجودها بما صادفت من النجاح في تجاربها الزراعية التي شاركت فيها الجمعية الزراعية وكانت تصدر باسم الهيئتين مجلة شهرية كما ان خريجي المدرسة المذكورة إنتشروا في مختلف الأوساط الزراعية فأفادوا فائدة كبرى

لهذا اتجهت أنظار أولي الامر الى العناية بهذه المدرسة والرقي بمستوى التعليم فيها فكان من ذلك أن أصبحت في سنة ١٩١١ مدرسة عالية

وتابع المعهد بعد ذلك سيره حثيثاً ملحاً وسائل النهوض ولكن لم يحاول خريجوهُ أن يوجهوا أنظارهم الى ما وراء أفق الوظائف والتوظف . ولم يكن في ذلك عيب أو غضاضة بل كان أمراً طبيعيًّا في ذلك الوقت إذ تعددت المصالح الزراعية الحكومية كمصلحة الاملاك ووزارة

الاوقاف وديوان الخاصة الملكية فضلاً عن مصلحة الزراعة نفسها التي أصبحت وزارة منذ سنة ١٩٠٣ ف الاعمال التي تقوم بها من الشأن الكبير في خدمة البلاد . وكانت لوطائف الزراعية شاغرة بهذه المصالح تستفيد خريجي المدرسة عاماً بعد عام ، بل كثيراً ما كانت تزيد عن عـــددهم

على أنهُ عقب استقرار الامور بعد الحرب العالمية نشط معهدنا من عقاله ودبت فيه روح جديدة تمشياً مع النهضة التي سرت في شرايين الحياة في مصر . وكان من نواحي هذا النشاط إيفاد البعوث للخارج حتى يقوم بالتدريس فيها بعد إخصائيون في مختلف المواد التي تدرس بالمدرسة

وقد عاد كثير من أعضاء هذه البعوث وأخذوا بالتدريس وبالبحث في جميع الفروع الزراعية وقامت المدرسة في الوقت نفسه بالاستعدادات المناسبة لقبول عدد من الطلبة أكبر مما كانت تقبله من قبل فكان ذلك عهد تجديد في التعليم الزراعي العالي إقترن في نفس الوقت بشدة اقبال الاهالي على ادخال أبنائهم المدرسة اذ أحسوا بفائدة التعليم بها

وعلى الرغم من أنهُ لم تنقض عدة أعوام بعد على بث روح البحث والاستقراء في المدرسة فان ما تم في هذا الصدد يدعو الى الفخر والايمان برسالة هذا المعهد الكريم

وكان بعد ذلك أن خطت المدرسة خطوة أخرى إذ ألحقت بالجامعة المصرية وأصبحت « كلية الزراعة » في العام الماضي . فكان هذا إقراراً بعظم نفع هذا المعهد وحافزاً لتنشيط البحث العلمي

***

— ٢ —

فرسالة الجامعة هي رسالة البحث عن الحقيقة المجردة من كل غرض أو قصد . والآن يقع على عاتق كلية الزراعة نصيبها من هذا البحث وذلك في حدود مهمتها وهي نشر الثقافة الزراعية في بلد اتخذت فيه الزراعة المكان الأول منذ اقدم عصور التاريخ

على أن ما قامت به الكلية من الابحاث في الفترة الوجيزة التي ذكرناها لم تغفل فيها الناحية العلمية التطبيقية بل كانت مصلحة الزارع المصري رائدها ويقينها . فقسم الزراعة بالكلية يقوم بعمل تجارب على المحاصيل المختلفة بغرض التوصل لمعرفة أصلح طرق الزراعة أو أنسب مقدار من التقاوي أو أوفق مسافة تزرع فيها النباتات للحصول على أكبر محصول من غلة الارض . كما أنهُ من آن لآخر يجرب كثيراً من المحاصيل التي لم تدخل بعد في عداد المحاصيل المصرية وذلك لمعرفة درجة صلاحيها في مصر

ومجاراةً للتوسع الحالي في غرس الحدائق والرغبة البادية في الانتفاع بمركز مصر الجغرافي واتصالها بالأسواق الأوربية كبلاد مُصدِّرة لأنواع الفواكه والخضروات المختلفة فإن قسم فلاحة البساتين التابع للكلية يقوم بتجارب عن إدخالها أصناف جديدة من الفاكهة. كما أنهُ يجرِّب زراعة بعض النباتات الاقتصادية والطبية لدراسة أوفق الطرق وأحسن المواعيد للزراعة ومقدار صلاحها لمصر

ولما كانت البلاد تفقد سنويًّا جزءاً من محاصيلها لفتك الأمراض بها فإن قسم النبات بالكلية يبحث كثيراً عن ظروف الاصابة التي تسببها بعض الفطريات وقد تمكن فعلاً من تسجيل كثير من الحقائق عن بعضها

وللعلاقة الوثيقة التي للبكتريا بمحاصيل الحقل والحيوانات الزراعية بل وصحة الانسان ايضاً فإن قسم البكتريا يقوم بفحص الالبان المعروضة للبيع في الاسواق ليعين مقدار نظافتها وعدد الميكروبات التي بها ونوع هذه الميكروبات. كما انهُ يبحث عن أنجع الوسائل التي تؤدي الى نظافة اللبن وقد جرَّب فعلاً لهذا الغرض طريقة الحليب الميكانيكي

ومن المعروف أن للكيمياء تطبيق واسع في الزراعة ولذا تعددت نواحي دراستها في الكلية فهناك تجارب تقوم على بحث موضوع التسميد وعلاقته بالتربة المصرية. وهناك تجارب اخرى عن مادة البكوتين التي اتضحت فائدتها في مقاومة الحشرات وامراض النباتات. وهناك تجارب ايضاً عن تحليل بعض المواد التي تستعمل في غذاء الحيوانات لمعرفة قيمتها الغذائية ومقدرة الحيوانات المصرية على تمثيلها

ولما كانت البلاد تستورد سنويًّا مقداراً كبيراً من الجبن وسائر منتجات الألبان رأت الكلية دراسة هذا الموضوع بغرض إدخال عناصر جديدة في صناعة الألبان بمصر ولذا قام قسم الالبان بتجارب عن صناعة بعض أنواع الجبن التي تستورد من الخارج بكثرة مثل الجبن الروي وصادف نجاحاً في ذلك. على ان القسم المذكور يصنع أنواعاً أخرى من الجبن الاوربي منذ مدَّة طويلة وذلك مثل النوع المسمى كومومبير أو النقشدر وغيرهما وقد صادف بعض هذه الاصناف إقبالاً في الأوساط المصرية

وهناك كثير من الظروف يصعب فيها تصريف الفواكه والخضروات وتلافياً لما ينشأ عن ذلك من خسائر إهتمت الكلية بدراسة الطرق المختلفة لايجاد منتجات متنوعة وفعلاً قام قسم الصناعات الزراعية ببحث طرق الحفظ والتعبئة وإستخراج الشراب وتقطير الزيوت العطرية

ونظراً لما عليه حالة الحيوانات المصرية من التأخر والخلط فإن قسم تربية الحيوان بالكلية يعمل بجدٍّ على تحسين هذه الحيوانات ورفع مستوى الانتاج فيها. ولذا وجه الاهتمام الى تكوين

سلالة خاصة بانتاج اللبن من الماشية الدباطية والى تكوين سلالة مزدوجة للحم من الماشية البلدية والى رفع مستوى الادرار ونسبة الدهن في لبن الجاموس . ويعمل القسم أيضاً على تكوين سلالات ممتازة من الأغنام الاوسيمي ومن انواع الدواجن المختلفة . وقد صادف نجاحاً في ذلك. وسيأتي يوم قريب يمكن لهذا القسم ان يوزع حيوانات جيدة للتربية . كما انهُ وجه عناية خاصة لادخال بعض انواع الماشية الأجنبية المعروفة بجودتها في اللحم واللبن ولا زال يواصل تجاربه فيها حتى يصل الى نتائج ثابتة قد يكون لها أثر في الانتاج الحيواني في المستقبل

وتعمل الكلية على نشر الابحاث التي تتم دراستها في مختلف الأقسام وذلك في المجلات الزراعية او التي لها علاقة بالابحاث المنشورة. وقد نشرت مجلة الفلاحة التي تصدرها جمعية خريجي الكلية بعض هذه الأبحاث. منها بحث عن زراعة فول السويا . وبحث آخر عن فواكه مستوردة من الخارج وبحث عن الماشية والعناية بانتاجها. وبحث عن البرسيم كغذاء للماشية اللبن في مصر. وآخر عن تأثير تربية الاقارب في الدجاج . وبحث عن تأثير الفيتامينات في درجة نمو « الكتاكيت » وغير ذلك من الموضوعات الاخرى

هذا ويسرني أن أنوه بالمجهود الذي يقوم به كثير من أساتذة الكلية فانهم لا يقصرون مهمتهم على التدريس ونشر الابحاث الجزئية فقط بل يقومون ايضاً بحركة تأليف في موضوعات اختصاصهم ولا شكَّ ان هذا عمل لهُ قيمته لانهُ ينقل الثقافة الزراعية من وسط الكلية المحدود الى وسط أوسع وأعم كثيراً وتتبين فائدة هذا العمل اذا عرفنا ان المؤلفات الزراعية التي وضعت باللغة العربية قليلة جداً تكاد تعد على الاصابع . وقد صدر فعلاً من هذه المؤلفات كتاب الخضروات، وكتاب الفواكه وانشاء مشاتلها وبساتينها ، وكتاب تاريخ فلاحة البساتين ، وكتاب حدائق الفاكهة ، وكتاب حدائق الازهار، وكتاب الزراعة المصرية، وكتاب النبات، وكتاب تقسيم النباتات، وكتاب علم النبات ، وكتاب الكيمياء الزراعية ، وكتاب المساحة، وكتاب علم الحشرات الاقتصادي، وهناك عدة مؤلفات أخرى على وشك الظهور منها كتاب الوراثة ، وكتاب اصلاح الاراضي الزراعية ، وكتاب الخواص الطبيعية للاراضي الزراعية ، وكتاب مساحة الاراضي المصرية

وكثير من أقسام الكلية التي تهم جمهور المزارعين يفتح أبوابه لهم ويرحب بهم ويتصل باستمرار لمن يرغب الاسترشاد به او زيارته او التمرين به وخصوصاً قسمي الألبان وتربية الحيوان وقد بدأ قسم البساتين الزراعية يحذو حذوهما أيضاً

وتدعى الكلية للاشتراك في المعارض الزراعية سواء كانت خاصة او عامة وتلبي الدعوة بعرض ما تقدمهُ لهذه المعارض او بحضور التحكيم وتوزيع الجوائز وقد كان للكلية مكان بارز في المعرض الزراعي الصناعي العام سنة ١٩٣١ غير انها رأت ألا تتقدم بمعروضات في معرض سنة

١٩٣٦ رغبة منها في إفساح المجال امام المباريات الشخصية ولذا اقتصرت الكلية على الاشتراك في هيئات التحكيم في المعرض المذكور وقد أقيم في العام الماضي المؤتمر الزراعي المصري الأول فساهم فيه كثير من اساتذة الكلية . حتى انهُ اذا نظرنا نظرة واسعة الى تنظيم هذا المؤتمر ومباحثه وأعماله نرى انهُ قام على اكتاف رجال الكلية سواء في ذلك خريجيها الذين يمثلون خارجها ومدرسيها الحاليين

هذه هي اعمال الكلية في ماضيها . صفحات فخار ومجد يتلو بعضها البعض

***

— ٣ —

على ان مهام الكلية الشيء الكثير قبل ان تتم رسالتها كاملة فليس للعلم حد يقف لديه وقد وضعنا نصب اعيننا تقدُّم الزراعة في هذا البلد وستقوم بنصيبنا كاملاً . وربما قال قائل أن التوسع الحالي في كلية الزراعة أصله وستؤدي إزدياد عدد الطلبة المتقدمين للدخول فيها ممن لا يجدون محلاً في الكليات الاخرى. وليس أبعد من هذا الفرض عن الحقيقة إذ الواقع أن البلاد تقدر فائدة التعليم الزراعي العالي حق قدره وتضعهُ في مركزه اللائق به رغبة منها في حفظ ثروة البلاد وفي زيادة مواردها وتعدد محاصيلها وليس عندي دليل على صحة هذا القول أقطع وأقوى من ان الحكومة تفكر تفكيراً جديًّا في انشاء كلية ثانية للزراعة بين أنها وعدت فعلاً بذلك في خطاب العرش الاخير

ولقد إزداد عدد الطلبة الذين يتخرجون الآن عاماً بعد عام زيادة تفوق حاجة الوظائف بمراحل كبيرة وعندي أن هذه حركة مباركة لانها ستلقي بخريجي معهدنا الى العمل الحر والى معاركة الحياة العملية ولقد عنيت الحكومة بأمرهم فعلاً وفكرت في مستقبلهم وفي الانتفاع بتعليمهم فوضعت مشروعاً لاقطاعهم اراضيَ يستغلونها بمساعدتها المالية حتى تصبح ملكاً لهم بعد مدة من الزمن وهذا المشروع في حد ذاته محكٌّ كبير لقدرة خريجي الكلية على ابراز معلوماتهم وتبرير وجودهم وتستفيد منهُ الدولة فائدة كبرى بتعمير مناطق لم تلمسْ عامرة وجباية ضرائب تشعر جميعاً بشدة الحاجة اليها في عهدنا السياسي الجديد كما ان الخريجين سيفيدون منهُ مصدراً لحياتهم من خيرة المصادر المعروفة في البلاد ألا وهو ملكية الاراضي وسيفيدون منهُ أدبيًّا كثيراً من صفات الرجولة كالجلد على مكافحة الحياة حلوها ومرها ووضع الامور في وضعها الصحيح فشتان بين حياة الوظيفة وحياة العمل الحر كما ان الشعب سيفيد منهُ زيادة في إيراد كثير من أفراده وعائلاته وسيجد المزارعون امامهم في الاقطاعيات المشار اليها قدوة حسنة تجمع بين العلم والعمل وتقف امامهم مرآة لروح العصر الحديث روح الانتفاع بجميع عناصر الطبيعة في الزراعة